عولمة الإعلام الأمريكي والتحديات الراهنة التي تواجه الإعلام العربي

د. محمد عبد الجبار سلام

المقدمة:

إن موضوع الإعلام العربي لا يمكن إلا أن يكون جزءاً من الواقع العربي المتخلف والجامد والعاجز حتى عن استيعاب المعطيات الجديدة أو حتى تمثلها والتعامل معها.

عندما استكملت ثورة الاتصالات إطارها العلمي والتقني في نهاية القرن الماضي بالتطورات المتسارعة وفي مقدمتها أنظمة الحاسوب والإنترنت أصبحت هذه الثورة العاصفة تمثل الإطار العام الذي شكل السيطرة الشاملة على مجريات الحياة العامة.. حتى إن الإعلام أصبح من يومها جزءاً من حياة الإنسان في أي مكان وأصبح الإعلام العربي يعكس في حينها حياة الأمة العربية التي كانت ترزح تحت ظلام دامس من الجهل والمرض والتخلف حتى أنها لم تستطع الاستفادة من الجوانب الإيجابية للاحتلال الاستعماري الجاثم على أقطارها في تلك الفترة.

والآن رغم الحقائق العلمية التي أنتجتها هذه الثورة العلمية من إمكانيات وفرص لم يستفد أيضاً منها العرب وظلوا قابعين على الهامش بينما كانت نتائج هذه الثورة العلمية قد حققت الآتي:

1. أصبحت هذه الثورة التكنولوجية والتقنية بكل قدراتها العاصفة في متناول الجميع ويستحيل احتكارها كما كان سابقاً.. فالإنترنت دائرة عالمية وشبكة ليس عليها مسيطر.
2. الفضاء مفتوح للجميع دون أن توجد قدرة على احتكاره أو إغلاقه وعلى رغم هذه الحقائق الجديدة والتي تؤكد حق امتلاك المعلومات والتقنيات إلا أننا نجد على أرض الواقع غير ذلك فإن من يمتلك القدرات الفنية والتقنية والتكنولوجية والخبرات العالية وصناعة هذه التكنولوجيا لاشك أنه يمتلك المبادرة القوية للسيطرة خاصة بواسطة تلك المؤسسات والتي هي:

- الشركات المتعددة الجنسيات التي تسيطر على اقتصاد العالم ومن ضمنه السيطرة على التقنية وتكنولوجيا الاتصال.

- صندوق النقد الدولي الذي يقوم بالتمويل المالي لهذه الصناعات.
- البنك الدولي الذي يمون الدول التي تنفذ سياستها.
- منظمة التجارة الدولية التي تملك مفاتيح التجارة والتنمية.

وهذا ولاشك هو قدر ومصير هذا العصر الذي يجسد هذه التطورات العاصفة وعلى ضوء ذلك فإنه ومن الطبيعي والمنطقي أن يمثل الإعلام والاتصال الأداة الفعالة والأساس للثورات العلمية والتكنولوجية والتقنية وحقوق الإنسان والديمقراطية لمنظومة متكاملة تستفيد من مختلف المخترعات والعلوم التطبيقية والإنسانية مما جعلها تختزل العالم إلى قرية كونية صغيرة.. هذا الاختراع المتطور تكنولوجياً وتقنياً قد أعد ثورة إنسانية بالغة الأهمية لصالح السلم وحرية الرأي والفكر والديمقراطية هذه الثورة التي جعلت المعلومات والوقائع ولأول مرة لدى الجميع ولم يعد احتكار المعلومات والاتصالات بيد القليل مثل ما كان سائداً قبل هذه الثورة الاتصالية التي أنهت العملية الاحتكارية.

إن الحاسوب والإنترنت والأقمار الاتصالية التي جعلت السماء مفتوحة وكل الوسائل لخدمة الجميع إنما تقوم على انتفاء إمكانيات الاحتكار.

وإذا كانت هذه القدرات والإمكانيات العلمية الهائلة بيد الجميع إلا أن من يملك القدرات والإمكانيات العلمية والتكنولوجيا المادية والخبرات الهائلة أكثر فإنه قادر أكثر من غيره على استخدام هذه القدرات بغرض الهيمنة والقرصنة والابتزاز عبر التصنت والتصوير من بعيد وغيره.. في نفس الوقت أقول يمكن عبر التكتلات القومية وتسخير القدرات والإمكانيات الكبيرة من أجل استخدام هذه الطاقات الكبيرة كأداة للتنمية والتقدم الحضاري ومن أجل القضايا الإنسانية كلها عبر الآتي:

- السيطرة الممكنة للجميع على المعلومات عبر الإمكانية الإلكترونية والتقنية والتكنولوجية والتي قد حققت الإمكانيات الواسعة والمعالجات العلمية للمعلومات وخزنها وإعادة إنتاجها واسترجاعها ونشرها وتبادلها.
- وعبر هذه القوة والإمكانية الفنية والإدارية إذا توفرت لدى البلدان العربية أن تجعل وسائل الاتصال بمثابة جسر للتبادل الحضاري والإنساني.. وبهذا يكون الحوار العربي مع الغرب إنسانياً يحقق المثل والقيم النبيلة لكل البشرية إذا رغبت أمريكا بأن تجعل الحوار أساساً للتعاون والتبادل التجاري والثقافي وأساساً أيضاً للتعاون ضمن منظمة التجارة العالمية.. أما بدون ذلك فإن الأمة العربية قادرة على مواجهة التعنت والهيمنة وهي التي سبق لها أن قاومت الاستعمار والهيمنة والتسلط واستطاعت الشعوب العربية أن تفرض إرادتها وأن تفرض قدرتها وتنال حريتها كما أنها قد حصلت على استقلالها بعد أن قادت الثورة على الطغيان وهي التي

تحاول اليوم أن تتصدى للثقافة الشمولية الوحيدة على العالم أجمع.

إن الثقافة الإنسانية هي وليدة العمل التاريخي لكل الأمم باعتبارها نتاج فعل الإنسانية مجتمعة ومن أجل كل تقدم الأمم وخدمة للطبيعة والتقدم الإنساني، يأتي هذا العمل عن تصور للذات والآخر والطبيعة وعن تصور للعالم يتحقق فيه أشكال عدة وإنتاج الجميع ومنها اللغة والفن والشعائر والعادات والتقاليد، ومنها أيضاً التدين والفلسفة والعلم والأساطير، الخ... وكل هذا يمثل نتاجاً إنسانياً لكونه ناتجاً عن وعي الإنسان وتجسيده لهذا الوعي في التفاعل مع ذاته، ومع الآخر أو مع الطبيعة والمشاركة للثقافة والإعلام يميز الإنسان عن الإنسان الآخر بهذا يكون قد حقق منجزات عظيمة في إدماج الثقافات الإنسانية في الإطار العام كون الناتج الثقافي الصادر عن الإنسان فرداً كان أم جماعة، هو تعبير عن حرية وجدت تجسيداً وممارسة لها في الوعي يتمثل في حرية الرأي وحرية في الممارسة تعطي للوعي شكل الموجود الآخر وفي الثقافة تتم عودة الفاعل على منتوج فعل بصيغة التمايز عن الآخرين وعن الطبيعة، وتثبيت الذات في وعي التطابق بين المنتج ومنتوجه.

وبعد الصراع حول واقع الثقافة فقد دارت المعارك الواسعة النطاق حول المعلومات والعولمة ودورهما في قضية الثقافة وهل الثقافة العالمية تأتي على حساب الهوية الذاتية لمختلف الشعوب أم أن ملامح الثقافة الإنسانية هي جزء من مسار الحضارة الإنسانية التي ستأخذ بعدها الجديد على ضوء التكنولوجيا وعولمة المعرفة والثقافة الإنسانية مع الاحتفاظ بمقومات الهوية الوطنية لشعوب العالم.

ومن جانب آخر نجد أن اتجاهات عدة أخذت لها عدة مسارات تنحو نحو العولمة الثقافية والاتصال والإعلام بهدف التكامل والمشاركة الجماعية.. إن هذه التطورات الكبيرة في مجال الاتصال والإعلام قد جعلت الإعلام الخاص يقوم بدور فعال في السياسة الدولية خاصة في مجال الإعلام الفضائي والذي أطلق عليه الليبرالية الفضائية التي أصبحت تشكل دوراً كبيراً في قيادة الاتجاهات السياسية وتحقيق الأطماع الدولية، ولهذا نجد أمريكا تحاول استغلال هذه الوسيلة من أجل تحقيق هيمنتها بشتى الوسائل، وفي المقابل نجد العرب برغم ما يملكون من قدرات وإمكانيات مادية وفنية ومن خلال توفر الكوادر الإعلامية المؤهلة نجدها تقف تجاه الحملة الأمريكية والدول الأوروبية بسلبية واضحة مستخدمين وسائل الاتصال والإعلام وفي مقدمتها الفضائيات من أجل تهميش المواطن والتركيز على الحمد والتقديس للحكام يصنعون لهم البطولات والأمجاد النادرة والعظيمة.

ولهذا فقد تناولت هذه الورقة معالجة حقيقة الأمة العربية وما تعيشه من نكسات وهزائم والتي عكست نفسها على مسيرة

الوسائل الاتصالية والإعلامية.

مواقف العرب تجاه الاتصال والإعلام وتقنياته الحديثة:

كانت الشكوى المريرة دائماً في عالمنا العربي من أن الإعلام يسير في اتجاه واحد من الشمال إلى الجنوب وبعد ذلك تحولت الشكوى إلى خوف من الهيمنة الإعلامية الغربية على مقدرات الإعلام العربي، بشكل عام خاصة مع دخول الفضاء والخوف كان يتمثل في رفض العرب الدخول إلى عصر الفضاء إجمالاً لأنه سيمنح الغرب الهيمنة على الإعلام وبالتالي انشغل المثقفون العرب بقضايا الحفاظ على الهوية والموروث وكيفية مواجهة الخطر القادم من الفضاء، وسط مقولات من نوع (التلفزيون أخطر من أن يترك لتلفزيونيين) أو أننا في عصر (الإدارة الإعلامية للسياسة) والأخطر من ذلك هو وصف (التلفزيونات) الفضائية بأنها أداة استراتيجية للقوى السياسية أو حسب تعبير وزير الخارجية البريطاني دو جلاس هيرد بأن الإعلام الفضائي هو مشروع (مارشال الفكري) على غرار (مارشال الاقتصادي).

والحقيقة كما يجمع المثقفون والإعلاميون أن عصر الفضاء فرض نفسه بلا مقدمات وسط تدفق إعلامي يتطلب السيطرة عليه، واكتشاف أن الوارد للمنطقة العربية ليس بحجم المتبادل بين العرب والعرب لأن العرب استطاعوا في القرن الماضي إلى حد ما أن يساهموا بجزء كبير في صناعة هذه الثورة الإعلامية، وذلك من خلال إدراكهم السريع لأهمية الإعلام وخطورة الدور الذي يلعبه في التأثير على المجتمعات ومع الأسف أن نجد العرب اليوم يعيشون على الهامش وبدون مبالاة رغم توفر القدرات العلمية والتكنولوجية.

بينما تمكن العرب منذ بداية القرن التاسع عشر أن يدخلوا غمار المعركة الإعلامية عن طريق الصحافة وتطوير الحروف العربية وتنوعها وإكسابها الأساليب الفنية الجذابة من حيث الشكل الفني الذي يدخل في خانة الإخراج الصحفي.. إضافة إلى امتلاك دور النشر العربية أحدث الآليات الطباعية في البداية حتى تكمنوا من امتلاك أحدث التكنولوجيا وتقنية الاتصال في مختلف وسائله سواء كان على مستوى الصحافة والمطبوعات أو السينما والمسرح.

وفي الوطن العربي على العرب اليوم أن يستوعبوا معطيات الألفية في مجال ثورة الاتصال وثورة المعلومات والتقنية الاتصالية والعمل على استكمال الاكتفاء الذاتي في مجال الإنتاج التقني والتكنولوجيا وتوطين تكنولوجيا وتقنيات الاتصال إلى جانب الفضائيات الأمريكية التي تقوم بأدوار خطيرة فهناك أيضاً الوسائل الإعلامية والاتصالية التي تسيطر أمريكا عليها وهي السينما بواسطة التقنية المتقدمة في الإنتاج وما يصرف على الأفلام السينمائية من أموال كبيرة ولما يتوفر في أمريكا من سوق كبير في هذا المجال ولأن السينما هي أكثر الوسائل الاتصالية التي تتطلب إمكانيات مادية وقدرات علمية وفنية فقد ظلت منذ ظهورها حتى الآن لمن يملك هذه

القدرات العالمية. وذلك لأنها تتسم بالعالمية من حيث آفاق معالجتها الموضوعية والفنية بينما ظلت في الماضي هذه التقنية بأيدي الإيطاليين والفرنسيين والإنجليز والألمان بحكم ما كان يتوفر لديهم من قدرات مادية وعلمية وفنية.

ومنذ أن تحولت أمريكا القوة العظمى ومن ثم القطب الأوحد فقد تم لها أن تسيطر على السينما كما سيطرت على كثير من الوسائل العلمية والاتصالية وتقنياتها وتكنولوجياتها.

وسيطرة أمريكا على السينما قد عكست رعباً شديداً في أوروبا قبل غيرها باعتبار السينما إحدى الوسائل الثقافية الفعالة في البلدان المتقدمة.

واليابان رغم اعتزازها الشديد بتراثها ومقوماتها وهويتها الوطنية إلا أن السينما الأمريكية غزت اليابان وسيطرت على ذهنية وعقلية الشباب والمنتجين والمخرجين وتحولت إلى إحدى وسائل العولمة الثقافية في الوقت الحاضر.

رغم أن السينما- بحكم عالميتها- تمثل روحاً إنسانية عالمية من خلال التعدد الثقافي للسمات الوطنية والقومية التي تشكل عالمية الثقافة والفكر الإنساني، والسيطرة الأمريكية على وسائل الثقافة والإعلام قد استنفرت القوى الغربية قبل غيرها فقد عمدت فرنسا على سبيل المثال تشكيل بوليس ردع لمن يستخدم اللغة الإنجليزية في الإنترنت من المسئولين والمعنيين في فرنسا وفرض حبس وغرامات على من يخالف ذلك وهناك العديد من الأمثلة في هذا الاتجاه.

ثورة الاتصال وضرورة قيام حوارات الحضارات:

إن الذي تتجاهله النظرية التبسيطية لثقافة العولمة هو قدرتها وآلياتها على تنظيم الذاكرة الجماعية من خلال السيطرة على المجال المعلوماتي والتحكم بمصارف المعلومات وهذا الأمر هو ما جعل الكثير من المفكرين الأوروبيين يعلنون أن أوروبا هي الآن عرضة لحرب إعلامية أمريكية بل لغزو ثقافي أمريكي بكل ما للكلمة من معنى وينقل جميل طراد عن جان لوريزي واريك لوبوشيه من دارسة لهما أصابت شهرة حول مصارف المعلومات والتنظيم الإلكتروني للمعرفة قولهما: "النموذج الثقافي لمجتمع من المجتمعات يركز أيضاً على ذاكرته فإذا تركنا للآخرين مهمة تنظيم هذه الذاكرة الجماعية وقصرنا دورنا على الاغتراف منها نكون قد ارتضينا لأنفسنا استلاباً ثقافياً".

فإذا أدركنا مدى الهوة التقنية بين أوروبا وأمريكا وبين الأمة العربية وأمريكا أدركنا معه حجم الاستلاب الذي نرتضيه للثقافة العربية وهذه هي قمة الإشكاليات في تبعية الثقافة العربية في عصر العولمة ومنها نحدد الأزمة العميقة في واقع الثقافة العربية في عصر العولمة من خلال تحديد مظاهرها الآتية:

1. تخلف الثقافة العربية وجمودها عند حدود التلقي من الموروث الوافد في عزلة وتبعية، وفقدانها لقدرات التجديد والإبداع، وخضوعها للتسلط يفرضها كثقافة تبرير

الواقع وتسييره مجرداً من عقلانية الرؤية وروح النقد وحرية التفكير.

2. تخلفها التقني والعلمي وتبعيتها الكاملة للمراكز الغربية في توفير أدوات المعرفة وصناعة الإعلام واستيراد وسائل العلم والمعرفة دون أدنى تعامل مع هذه الأدوات والوسائل بما يجعلها فعلاً ذاتياً للعقل العربي وثقافته العصرية.

3. غيابها المطلق عن تحولات ثورة الاتصالات والمعلوماتية في وضع تعتمد الوسائل العربية على تطور التقنيات الغربية في وسائل الاتصال ومراكز ثقافتها في الحصول على المعلومات الأمر الذي يحرم ثقافتنا من فرصة التفاعل الحي مع ثقافة العولمة وهي تدل على إشكاليات هذه التبعية التي تجعل من واقعها الراهن ما يعيد إنتاجها في ثقافتنا بشكل أكثر خطورة مما هي عليه الآن.

وإذا كان التفوق التكنولوجي قد أتاح للغرب إمكانية التحكم في صناعة وسائل الإعلام والمعلومات والاتصال من خلال الشركات العملاقة والمهيمنة على السوق العالمية بواسطة الثلاثي المعروف (البنك الدولي- صندوق النقد الدولي- منظمة التجارة العالمية) والشركات متعددة الجنسيات فإن المجال الإعلامي وسائر مكونات المنظومة الحضارية لا يزال يمثل الساحة الرئيسية للصراع، حيث تعمل القوى الرئيسية التي تحاول التحكم في العولمة محاولاتها الدؤوبة من أجل عولمة الثقافة والإعلام والتعليم والدين وسائر مكونات المنظومة الحضارية التي نريدها أن تحتفظ باستقلالها خارج دوائر وقيم سياسة السوق العالمية، ولقد أمكن الحفاظ على سيادة الحقل الإعلامي الوطني لفترة طويلة تمثل عمر الدولة الوطنية والقومية وسيادتها على أرضها ومواطنيها وظلت وسائل الإعلام الوطنية تستمد أسباب سيادتها وتجددها من مصدرين رئيسين أحدهما اجتماعي يتمثل في الأسرة باعتبارها المؤسسة الاجتماعية الأولى التي تنتج الوجدان الثقافي الوطني بواسطة شبكة القيم التي ترسخها في وجدان الأفراد منذ نشأتها الأولى. والمصدر الثاني الذي يتمثل في المدرسة التي تواصل الوظائف التربوية للأسرة ولكن في إطار الجماعة الوطنية حيث تقوم المدرسة بوظيفة إرساء أسس الثقافة الوطنية رغم الهجمة الاستعمارية المباشرة التي كانت تحاول فرض ثقافتها وفلسفتها وقيمها الاجتماعية والسياسية على مستعمراتها بواسطة منظومة وسائل الإعلام.

وعندما نتأمل الخريطة الثقافية الراهنة للعالم المعاصر شماله وجنوبه تصادفنا حقيقتان مهمتان تشير أولهما إلى اجتياح الثقافة الأمريكية للعالم المعاصر وبما فيه أوروبا ولم تقتصر هذه الهيمنة على الدول كما كان سابقاً وقد أكد وزير الثقافة في الاتحاد الأوروبي في بيان أصدره عام 1988م خطر التهميش الذي تتعرض له الثقافة الأوروبية في عالم توحده ثقافياً الصور والرسائل الأمريكية التي تذاع وتنشر عبر الأقمار الصناعية. أما الحقيقة الثانية فهي تشير إلى

التنافس بين الثقافتين العالميتين الثقافة الأنجلوأمريكية والثقافة الفرنسية للسيطرة على العالم. ففي مواجهة انتشار نمط الحياة الأمريكية من خلال البرامج والمسلسلات الأمريكية بالإنجليزية تبرز الفرانكوفونية كأداة لمقاومة نزعة الهيمنة التي تكرسها الأنجلوفونية باعتبارها أداة التواصل الأكثر ذيوعاً وانتشاراً على النطاق العالمي وتبرز أيضاً باعتبارها وسيلة للدفاع أمام محاولات أمركة أوروبا والعالم غير الأوروبي من خلال ما تبثه من برامج مرئية ومسموعة تستهدف الترويج لنمط الحياة الأمريكية.

لاشك في أن (العولمة الإعلامية)- إذا صح التعبير- شكلت ولا تزال سلاحاً ذا فعالية عالية في يد القوى المهيمنة وفي مقدتها الشركات العابرة للقارات إلا أن هذه الهيمنة غير قابلة للاستخدام المطلق من جانب القطب العالمي الذي يملك قوى الاحتكار، فالعولمة الإعلامية والثقافية فعالية دولية شاملة، وسيكون بمستطاع الشعوب والمجتمعات والدول الضعيفة أو المحاصرة، استخدام فضائياتها في الصراع الثقافي والحضاري وحتى الاقتصادي والأمني مع آليات السيطرة الإمبريالية الجديدة، وبالفعل قد أعطي الإعلام الراهن لوظيفته الأساسية راهنيتها وعالمية انتشارها فأصبح الحدث في أي مكان في العالم مشاهداً ومسموعاً في كل الأمكنة بخلاف ما كان حاصلاً في العصر الصناعي أو زمن ما قبل الحرب الباردة حيث كان يذاع الخبر الذي وقع أما اليوم فيذاع الخبر الذي يحدث.

وقد أخذت أمريكا زمام المبادرة من كونها، في ظل الحرب الباردة تمثل المعسكر الغربي وبعد انتهاء الحرب الباردة تمثل القطب الوحيد في العالم محاولة أن تمسك كل الخيوط بيدها وفي كل المجالات وفي المقدمة الإعلام والاتصال والثقافة وعلى سبيل المثال في مجال السينما قفزت أمريكا إلى الشرق الأوروبي قبل أن تقفز السينما الفرنسية أو الإيطالية أو الألمانية.. وراح رجال الأعمال في هوليود يمهدون الأرض.. ليس لمجرد إنتاج أفلام مشتركة وإنما بإقامة وامتلاك دور عرض بأسعار منخفضة جاذبة.. وبالطبع لم تكن هذه هي أهم المعارك الأوروبية الأمريكية.

المفاوضات كانت تجري والإجراءات الحمائية التي تشكو منها أمريكا مستمرة. فالتلفزيون الأوروبي يلتزم بنسبة عالية من البرامج الفرنسية (40%) من البرامج الأوروبية عن (20%) وبما يغلق الباب أمام الولايات المتحدة ببرامجها الكثيرة.

أيضاً وحين يذهب المشاهد إلى السينما في فرنسا فإن 11% من ثمن التذكرة يذهب لدعم الصناعة الفرنسية ومما يجعل الأمريكيين يقولون ألا يكفي الفرنسيين بأنهم يدعمون أفلامهم لتحارب أفلامنا لكنهم يجبروننا من خلال تذكرة السينما على المعارضة أن لا ندعم الفيلم الفرنسي بجزء من إيراداتنا.

الحرب مستمرة وأنصار الحرية يؤيدون الحماية والجدل دام شهوراً طويلة في الأوساط الفنية والصحفية.. بل وفي داخل

البرلمان الأوروبي الذي قفز له أشهر المخرجين والمنتجين ورجال الصناعة ليقولوا (احمونا من السينما الأمريكية) في ذلك الوقت (أعوام 93، 94، 95) بدأت السينما العالمية في مفترق الطرق، كانت السينما الهندية- وط بقاً للمجلات والدوريات المختصة- تقدم حوالي تسعمائة فيلم في العام، وكانت أسواقها الرئيسية في جنوب شرق آسيا، استراليا، دول الخليج العربية.

كانت الهند هي الأكثر إنتاجاً، لكنها لم تكن بأية حال هي الأكثر أهمية وسطوة وتأثيراً في سوق السينما كان المحور الرئيسي أوروبا وأمريكا بالدرجة الأولى.

في أوروبا كانت السينما الإيطالية تلتقط أنفاسها بعد تراجع استمر عدة سنوات بل أنها شهدت كما يقول النقاد صحوة جديدة ودماء شابة أعطت الأمل في أن تسترد بعض ما فقدته ولكن إنتاجها السنوي ظل بعيداً عن الإنتاج الأمريكي فالأخير يفوقه بخمس مرات على وجه التقريب، إذا كان القياس هو (عدد الأفلام المنتجة) في نفس الوقت كانت السينما الفرنسية تحارب معركة الوجود بعد أن حققت حوالي (10 - 12%) من حجم السوق العالمية، وكانت السينما البريطانية في طريق مسدود حتى الناقد البريطاني جيمس بارك- في كتاب له عن السينما البريطانية- كما يقول: إن الإنجليز فقدوا حسهم التاريخي، وإن جوائز الأوسكار التي حصلت عليها السينما البريطانية كما يقول ناقد أخر- أعطت صورة غير حقيقية عن حالة السينما التي تحولت إمكانياتها للتلفزيون أو الفيديو، وأهداف أخرى... الخ.

والسينما ضمن أدوات ومصادر المعلومات التي تريد أمريكا السيطرة عليها وقد حاولنا تناول السينما بنوع من التفصيل وذلك يعود إلى أهمية السينما ودورها في التأثير على الرأي العام خاصة في البلدان المتقدمة والتي تريد أمريكا استخدامها كمصدر أساسي من مصادر التأثير الاتصالي في مرحلة العولمة وضمن منظومة المعلومات التي تريد أمريكا السيطرة على مسيرة العولمة بواسطتها.

أما على المستوى العربي فإننا نجد المحطة الفضائية (الحرة) التي تبث بالعربية أنها قادرة على إعطاء صورة تشد وتجذب المتلقي وتجعلها وسيلة قوية ومؤثرة ومنافسة وذلك يعود إلى تخلف الوسائل الإعلامية العربية وعدم توفر المساحات للحريات الشعبية ولمنظمات المجتمع المدني.

المتغيرات الجديدة وكيفية التعامل معها:

صدم العالم الثالث وفي المقدمة الشعب العربي بكل مؤسساته الشعبية والرسمية بعد فترة من سقوط المعسكر الاشتراكي وبروز أمريكا القطب العالمي الوحيد الذي نتج عنه متغيرات بالغة الأهمية أصبحت هذه المتغيرات هي السائدة وبدون منازع وفي مقدمة هذه المتغيرات الآتي:

1. بروز أمريكا قوة وحيدة تقود العالم باعتبارها القطب الوحيد.

2. سيادة الفكر والاتجاه الليبرالي تقوده الشركات المتعددة الجنسيات والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي باسم العولمة ومنظمة التجارة العالمية التي تحمل في مضمونها قيم المساواة إلا أن أمريكا القطب الوحيد أخذ يتحكم في مفاصلها.
3. بروز الثورات الثلاث كحقائق موضوعية وهي:
   - ثورة الاتصال والإعلام والمعلومات.
   - ثورة الديمقراطية وحقوق الإنسان.
   - ثورة التقنية والتكنولوجيا.

وعلى ضوء هذه المتغيرات فقد تغيرت كل العلاقات وتغيرت العلاقات الدولية وتغيرت المفاهيم.. حيث أصبح أصدقاء أمريكا أشد أعدائها وأعداؤها بالأمس جزءاً من استراتيجيتها الجديدة.

وعندما تغيرت الشعارات والمفاهيم أخذت وسائل الإعلام العربية تتخبط في خطابها الإعلامي وتتناقض وفي ظروف كثيرة تحاول التشبث بالماضي وبقيم الماضي متجاهلة كل المتغيرات دون أن تحسب بأن الحكام الذين يقفون وراء هذه الوسائل أصبحوا بدون حليف أو سند من الدول الكبرى كما كان قائماً في ظل الحرب الباردة حيث كان البعض تحت الاستراتيجية الأمريكية والبعض الآخر تحت الاستراتيجية السوفيتية حتى أنها ظلت تحت تلك الهيمنة أما اليوم فيما تعيش الحكومات العربية بدون حماية أو مساندة كما كان قائماً في تلك المرحلة وعلى ضوء هذه المعطيات الجديدة فقد أصبحت وسائل الإعلام العربية تعيش في حالة فزع سياسي وهي انعكاس طبيعي لسياسة الحكام العرب الذين يعيشون في تخبط وبدون هدى ولهذا فإننا نجد الإعلاميين والمثقفين العرب يجتهدون في التنظير والتحليل والتفسير بدون رؤية وفي هذه الاتجاه يقول د. سبار الجميل: "وتعج الحياة الثقافية العربية بمجموعات من النخب المثقفة المتنوعة بأفكارها ومرجعياتها واتجاهاتها على أساليبها المختلفة.. فهناك من يقف منظراً في أعلى الشرفات المؤدلجة.. وهناك من يعيش في أعماق الأدغال... وهناك المرتبكون الحائرون.. ناهيك عن أركان المتحصنين في الأقبية والحصون القديمة وأخطر الأمور هي التي تمثلها مجاميع من المتخلفين عن ركب العصر والذي غدا معضلة في الثقافة العربية تحت مسببات شتى".

ومن أجل التغيير المطلوب في حياتنا العربية المعاصرة لابد من العمل بالآتي:

- العمل الجاد والمخطط بأساليب علمية ومنهجية وبإرادة سياسية.
- حرية المشاركة الشاملة والفاعلة في مسيرة التنمية المستدامة.
- التحرر من الخوف والتهديد بالشعور بعدم الأمان والتهديد بانتهاك الحقوق وهي مهمة رئيسية لإحقاق الحقوق الإنسانية والتحرر من كل أشكال العنف الجسدي والمعنوي للمرأة معاً.
- التحرر من الانتهاكات والظلم وانتهاكات

سيادة القانون.

- التحرر من كل أشكال التمييز وجعل المواطنة هي المعيار الوحيد لكثير من الاتجاهات.
- الحريات الفكرية والإعلامية والثقافية وعلى كل المستويات.
- إن هذه المهام لا يمكن تحقيقها دون إسهام الإعلام العربي بصورة مباشرة لتجسيد القيم النبيلة في ظل توفر المناخ لتحقيق الديمقراطية كمنظومة متكاملة من إجراءات تطبق فيها سيادة القانون وفصل السلطات وتحقيق المساواة والعدل الشامل، والعمل بشفافية في سبيل وجود مجتمع مدني خالٍ من كل العلاقات المتخلفة مجتمع مدني تصبح فيه وسائط الاتصال والإعلام حرة ونزيهة ومستقلة عبر القوانين والتشريعات التي تعطي للحريات قوتها وبالتالي يتم تجاوز القيم البالية والتي تتمثل في الآتي:
- جعل الانتماء القبلي قبل الانتماء الوطني.
- جعل الانتماء للثقافة التقليدية المتخلفة والمنعزلة والتي تكرس الهوية الضيقة بدلا من الهوية الوطنية والقومية والإنسانية وهذه العناوين الرئيسية الاستراتيجية للتخلف في الوطن العربي تتطلب تجاوزها بأي شكل من الأشكال خاصة وهناك متغيرات مذهلة والمتمثلة في الثورات الثلاث الآنفة الذكر والتي تمثل مقدمة بالنسبة للأمة العربية للإنطلاق نحو بناء مجتمع مدني حديث قادر أن يتعاطى مع معطيات العصر وتجاوز الأوضاع الحالية التي لا زالت ضاربة في أعماق المجتمع وهي علاقات قبلية وعنصرية ومذهبية وطائفية والتي لم يستطع التخلص منها حتى أولئك أصحاب الأفكار العالمية مثل الليبرالية والمادية باعتبار هذه القيم المتخلفة لا زالت راسخة في الأذهان والوجدان ولم تتحول إلى قيم مادية وروحية قوية قادرة على التخلص منها حتى الآن وفي المقابل فإن هذه المعطيات الجديدة للألفية الثالثة بما تحمل من إمكانيات قادرة على أن تزحزح تلك العلاقات المتخلفة التي لازالت تشكل الكثير من المعوقات أمام هذه التطورات الجديدة التي أصبحت حتمية كحتمية وجود هذه المتغيرات والمتمثلة في ثورة المعلومات وثورة التكنولوجيا التقنية وبأهمية المشاركة فيها بصورة إيجابية بكل ما تحمل من معطيات ومن آليات واستخدام علاقات مرتبطة بكل المخترعات التقنية والتكنولوجية.. ويكفي الإشارة إلى ما أشار إليه (وليم ماركير) بأن ما حققته البشرية في العشر السنوات الأخيرة من القرن العشرين يفوق بكثير ما أنجزته البشرية على امتداد آلاف السنين.. ويضيف: فلا يمكن أن نتخيل أن هناك مثقفاً عربياً مهما كانت ثقافته وتخصصه أو فكره وهو يتصل أبداً من استخدام آخر مبتكرات العصر.. وهذه الأوضاع العربية تشكل ولا شك مأزقاً تاريخياً إذا بقيت غير قادرة على تجاوز موروثها السلبي والانتقال إلى التعايش الحقيقي مع العصر والبدء بكل جدية في العمل على ضوء الاتجاه العالمي نحو التطبيق الأمثل للديمقراطية وحقوق الإنسان وخلق

شفافية حقيقية في وسائل الإعلام والاتصال ومع القوى السياسية والاجتماعية ومؤسسات المجتمع المدني.

وحول خلق علاقة جديدة بين الشعب والسلطة الحاكمة يقول السيد ياسين: (إن الديمقراطية بوصفها أحد المخارج الأساسية للخروج من أزمة الثقافة العربية والحالة العربية الراهنة إضافة إلى ذلك أن الديمقراطية مرغوبة ومطلوبة على المستوى الشعبي والعالمي بعد أن أظهرت الآثار المدمرة للحصاد المر للتسلطية العربية بكل أشكالها). تلك التسلطية التي سادت الوطن العربي في العقود الأخيرة وعلى نفس النمط الداخلي فلا بد أن تتخذ على المستوى القومي الكثير من التحولات المهمة ومنها:

1. الموافقة السريعة على التغيرات في الجامعة العربية واعتبار الجامعة بمثابة اتحاد عربي هو الحد الأدنى المطلوب للخروج من المأزق العربي الراهن.
2. القيام بتنفيذ السوق العربية المشتركة بنوع من الشفافية ينسجم مع التعامل مع منظمة الجات.
3. اعتماد الديمقراطية كمنهج للتعامل البيني بين الأقطار العربية.
4. الاعتماد على التكامل العلمي والتقني والتكنولوجي في مجال الإعلام والتعليم والبحث العلمي على المستوى العربي.
5. ممارسة الحريات العامة في التجارة وتبادل السلع والأفراد والعمال.
6. تنفيذ كل البنود الواردة في مشروع الاتحاد العربي في نطاق الجامعة العربية بصورة ديمقراطية وبشفافية كاملة.

وبعد هذه الإشارات لما هو مطلوب على المستوى الداخلي والخارجي من تغيرات وهي كثيرة تتطلب المواجهة الحقيقية مع وجود استيعاب لتنفيذ مثل هذه المتغيرات في ظل ما هو سائد على المستوى الفوقي والتحتي في الوطن العربي وبما هو مطلوب باعتبار هذه التوجهات شرطاً جوهرياً للخروج من المأزق الحقيقي الذي تعيشه الأمة العربية تتخذ بإقرار الجميع رسمياً وشعبياً.

ما هو المطلوب من الإعلام العربي:

موضوع الحرية والصحافة الحرة والشفافية والديمقراطية وحقوق الإنسان أصبحت تتردد على أسماعنا وبصورة مستمرة ولكننا لا نستوعب مضامينها.. فبعض الناس يفهم الحرية بأنها تجاوز لكل تراثنا وقيمنا مع أنها جزء أساسي من قيمنا الدينية والتراثية.

والتسامح كلمة نعرفها جميعاً وهي جزء من حياتنا والتي لم تأخذ بعدها عبر وسائل الإعلام والتي لا زالت تردد الشعارات المجردة والهشة مع أننا نمتلك تراثاً عظيماً ينسجم مع التوجهات الجديدة ومع مضمون البث الفضائي وتطور ثورة المعلومات والاتصال والانترنت وبرامج الكمبيوتر ومع كل معطيات العصر بكل أبعاده العلمية والإنسانية والتي كان لابد على الأمة العربية أن تستوعب كل هذه التحولات وأن تصبح بين أيدي الأمة العربية كتوجهات جديدة فهم لم يتعاملوا معها إلا باستحياء ولم يحسموا موقفهم تجاه التعاطي مع هذه الثورات

المتسارعة بكل أبعادها الحضارية والمدنية.

إن دور هذه الثورات في تعميم المعرفة أصبح قضية عملية وليس مجرد مطالب وشعارات كما أن حرية الفكر والعقيدة هي الأخرى أصبحت قضية مرادفة للتطورات التقنية والتكنولوجية والاتصال والمعلومات وكذلك فإن الشفافية وحرية التعبير هي ملازمة لثورة المعلومات وثورة الديمقراطية وحقوق الإنسان وديمقراطية الاتصال.

وهذه الثورة المعلوماتية قد تمكنت عملياً من تحقيق الكثير من المؤشرات الإيجابية في مجال المشاركة الجماعية للحقوق والحريات العامة والمتمثل في الآتي:

1. تحقيق مشاركة جماعية في هذه الثورات الاتصالية.
2. إيجاد وعي ومعرفة بأبعاد هذه الثورات والعمل على ممارستها.
3. تجاوز مرحلة الهيمنة المطلقة للدول الكبرى على الأفكار والمقومات الوطنية والفكرية للدول الفقيرة.
4. ترابط حقيقي بين التأثير الموضوعي على الذاكرة الجماعية في ظل عولمة الحياة.
5. عدم قدرة الدول الكبيرة والشركات المتعددة الجنسيات على فرض السيطرة الكاملة على المعلومات وتقنياتها إذا أستعد الآخر.
6. الحد من سيطرة ووجدانية الفكر الأوروبي على بقية الفكر العالمي واعتبار العولمة كثقافة هي حصيلة الثقافات الإنسانية التي حددتها هذه الثورات الجديدة والتي جعلت الجميع يستخدم الحاسوب والانترنت وجعلها إضافة جديدة للتوجه الإنساني وعلى قدم المساواة.

وهذه الحرية هي ليست وليدة اليوم ولكنها قديمة رافقت الإنسان.. إلا أن هذه الثورات الاتصالية والتقنية قد جعلتها حتمية وعملية تؤخذ ولا تمنح وأعطتها مفاهيم وممارسات واسعة وأن قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1946م والذي تضمن حرية تداول المعلومات والعمل على صيانة هذه الحقوق كما تضمن القرار العالمي لحقوق الإنسان الحق في حرية الرأي والتعبير وحرية اعتناق الآراء دون تدخل واستقاء المعلومات وتلقيها ونقلها من خلال وسائل الإعلام كما نصت الاتفاقية الأوروبية والجمعية العامة للأمم المتحدة في الاتفاقية الدولية وكذلك كثير من المنظمات والاتحادات العربية والأفريقية قد عبرت عن نفس المطالب والمتعلقة بحرية الفكر والرأي وحرية التجمع وهي تجسد هذه القيم وتعبر عنها وسائل الإعلام أما الانعزال عن هذه التطورات فإنما يعني الانحدار نحو التخلف والهاوية.

والشيء المنطقي هو الانطلاق مع كل معطيات العصر من خلال الآتي:

- تجميع القدرات الكامنة والظاهرة المادية والروحية من أجل المشاركة الجماعية وإثبات الذات أمام ما ينتظرنا جميعاً من مستقبل العولمة التي أصبحت حقيقة جوهرية واتجاهاً حتمياً لا يمكن تجاهله.

- التعامل الجاد مع العلوم التقنية والتكنولوجية وتوظيف كل الطاقات والقدرات من أجل الاستيعاب الأمثل لها والمشاركة الإيجابية.
- العمل الموضوعي لاستغلال كل الثروات المادية والبشرية لقيام نهضة مدنية من النواحي الحضارية والاقتصادية والعمل على خلق أسواق إقليمية وقومية وإسلامية للتعامل العالمي في نطاق العولمة ومنظمة التجارة العالمية على اعتبار أن عالم اليوم والغد هو عالم التكتلات للأقوياء وليس هناك مجال للضعفاء.

ولهذا فإن واقع الإعلام العربي سيظل يجتر كل سلبيات الماضي بفرامل الحكام الذين هم غير قادرين على التعاطي مع العصر والتصالح مع شعوبهم وجعل وسائل الإعلام وسيلة جماهيرية تعبر عن الحاضر والمستقبل بكل آفاقه.

دور وسائل الإعلام العربية تجاه المتغيرات:

تكمن أهمية وسائل الإعلام والاتصال في تعميم المعرفة وخلق التسامح السياسي والاجتماعي لبناء المجتمع المدني بحكم خصائص ومميزات الاتصال والإعلام ومن خلال قدراته وإمكانياته الاتصالية المؤثرة والتي تستخدم مختلف المؤثرات النفسية والاجتماعية والإعلامية والصورة التكاملية والأسلوب المتنوع الذي يشكل القاعدة الاتصالية لوسائل الإعلام التي يمكنها أن تعمم الشفافية بحكم أنها:

- قادرة على خلق مناخ ملائم للتعبير والتأثير وبحكم قدرتها على توظيف ثورة التقنية وتكنولوجيا الاتصال بصورة إبداعية.
- قادرة على إيجاد مهارات فكرية إبداعية جديدة في مجال تعميق الأفكار وخلق قيم ومثل جديدة في المجتمع العربي.
- كما تقوم وسائل الإعلام بدور تعميم المعلومات ونشر الوقائع وخلق قناعات بها على نطاق واسع في نفس الوقت واللحظة.
- تستطيع وسائل الإعلام خلق حركة واسعة ويقظة حركية وفكرية عبر وظائفها الاتصالية وتستطيع إيصال وتبادل الخبرات الإيجابية وجعلها قيماً ومثلاً عند المتلقي.
- تستطيع نشر قيم الشفافية والتسامح وخلق الحوافز المعنوية والمادية والروحية.
- القدرة على إيجاد الحساسية القوية تجاه التسامح والشفافية من أجل جعل الناس تثبتها بصورة عملية.
- تستطيع أن تجعل العلاقة موضوعية بين الشفافية والقضايا الوطنية والقضايا المقدسة والقومية والإنسانية.
- تستطيع أن تجعل المشاركة في تبني الشفافية كمقدمة لبناء المجتمع المدني باعتباره مهمة وطنية وإنسانية.
- على المستوى العربي نجد أن هذه الإمكانيات الإعلامية على الرغم مما ظهر من تطورات تقنية على مستوى الإعلام الفضائي والذي أصبح يطلق

عليها الإمبريالية الفضائية لما تقوم به من نشر الكثير من الموضوعات المتقدمة إلا أن هذه الوسائل الإعلامية العربية ليست نبتاً شيطانياً ولكنها تجسد قيم ومثل السياسة العربية بكل تعقيداتها واختلافها غير المحدود وفي صحيفة روز اليوسف يقول عبدالله كمال وهو يتحدث عن الكيانات الإعلامية العربية: إنما وصلنا إلى هذه المرحلة المحزنة حالياً لعوامل كثيرة ومنها:

أولاً: لا تعبر هذه الكيانات الإعلامية المستقلة عن اتجاهات عامة بقدر كونها منشآت فردية.. لم ترق إلى مستوى المؤسسات بغض النظر عن شكلها القانوني إذ أنها غالباً منابر لأشخاص يسيطرون على عدد من المساهمين.. ولهذا فإن هذه المؤسسات لا تعبر إلا عن سفاسف الأمور وابتعادها عن القضايا الرئيسية في المقابل نجد المؤسسات الرسمية تعبر عن اتجاهات وسياسة الحكومات أو في كثير من الأوقات عن توجهات الرجل الأول في السلطة.

كما تؤكد بعض المصادر الصحفية المصرية (روز اليوسف) أن البعض حول وسائل الإعلام إلى منابر لتصفية الحسابات الشخصية والتشهير والنيل من بعضهم سواء بصراحة أو بإسقاطات تحمل في طياتها الكثير مما ينال من الآخرين وما يمكن من طهارة ونقاء وصفاء الآخرين.

ونجد من يتحدث عن الحرية ولكنهم في نفس الوقت هم يخترقونها ويعتدون عليها ونجد أن المتحدثين عن الحرية والشفافية هم الأكثر عدواناً عليها وذلك يعود إلى عدم التمسك بقيم وشرف مواثيق الشرف الصحفي وعدم وجود توجه محدد وقيم ثابتة وتشير مجلة الوسط العدد (502) 2001/9/1م إلى أنه لا يستطيع الإنسان إلا أن يمشي مع التطور التقني الحديث ولهذا لم يكن له مهرب من الصعود إلى الفضاء وكان هذا الصعود هو الأمر الأسهل لأنه يتطلب المال فقط والمال موجود لدى العرب لكن الأمر الأصعب هو البحث عما سنبثه من الفضاء أي ما سنقدمه من برامج ولهذا ما نبثه من برامج من الفضائيات الخاصة نجدها تتمحور في الموضوعات السهلة وإذا قدمت البرامج السياسية فهي مثيرة وصاخبة ومحرضة تعمل على تفعيل الخلافات بين المتحاورين دون أن تصل إلى فكرة أو موضوع محدد.

أما الوسائل الإعلامية الرسمية فهي تقدم البرامج المثيرة للجدل في مجال تعظيم سياسة الدولة الرسمية وتقديم الحاكم ولا تسمح بالحرية وتعمل على تكريس وتمجيد السلطة بينما لا تجعل أي بديل للمشاهد أو الفكر غير حرية تمجيد الحكام.

وفي الأخير إن هذه الوسائل وهي لا تمارس الحرية فقد جعلت الخوف من الحرية محوراً بين المتلقي والمرسل.

ويمكننا أن نقول أن كثيراً من الوسائل الإعلامية سواء منها الفضائية أو وسائل الإعلام المقروءة تسمح لنفسها بمناقشة قضية فلسطين وقضية العراق بحرية انتقائية دون التطرق إلى قضايا مهمة تهم الجوانب القومية وحتى مشروع الاتحاد

العربي نجد بعض وسائل الإعلام العربية تعتبره مجرد نسف وتآمر على الجامعة العربية وكيف يمكن أن يكون تآمرا على هيئة انتهت إلى الجمود وبدون فاعلية وتكاد أن تنتهي صلاحيتها بأي شكل من الأشكال ولا تستطيع التعاطي مع المرحلة الحالية وقد تجاوزتها المنظمات الإقليمية مثل الاتحاد الأفريقي والأسيوي.. الخ.

ونقول بكل وضوح أن العرب وبحكم سياستهم الحالية قد فشلوا في تحقيق أي إنجاز في حده الأدنى يكفي أن نشير إلى قضية فلسطين والعراق سياسياً أو قضية التنمية والاقتصاد البيني والتعاون المشترك اقتصادياً وتقول نشوى الرويني مقدمة برامج في الشرق الأوسط (لماذا نحمل الفضائيات العربية أكثر من طاقتها؟ هل يوجد تعاون عربي حقيقي في أي مجالات أخرى؟ لماذا نتوقع أن يكون هناك مشروع إعلامي عربي؟ وما هي الأساسيات التي يمكن أن يستند إليها حالياً طموح أي إعلامي عربي إلى أن يكون هناك مشروع إعلامي عربي؟).

يبدو أن أقصى ما نتنافس فيه إعلامياً الآن هو من منا سيعرض مسلسل كذا أولاً ومن منا سيخطف فيلم كذا أولاً وبرغم وجود محاولات فردية من قنوات لها وزنها الإعلامي تعمل بقدر إمكانياتها ولكن تظل مجهودات فردية لا يمكن أن يكون لها وزنها وتأثيرها على مسيرة الإعلام العربي نحو خلق شفافية في الأوساط العربية.

وفي عينة عشوائية على مشاهدين من الذكور جرت في سوريا، فقد حصلت الجزيرة على 65% من المشاهدين، وتأتي بعدها إم بي سي MBC 55%، بينما أتت في الدرجة الثالثة قناة دبي وأبو ظبي بنسبة 45%، وحصلت المصرية على 35% وأتت بقية المحطات العربية على 15%.

وهذه النتائج برغم أنها غير دقيقة خاصة وأنها تحدد بعينة عشوائية من المجتمع السوري من الذكور.. إلا أنها تعبر عن مدى الوعي والاتجاه العربي الذي يمثل أسلوب الإشارة والديماجوجية.

وتنتهي الدراسة السورية بالقول: فلم يعد للأسرة أو المدرسة دور مهم في التنشئة الاجتماعية والتربية في ظل وجود التلفزيون والبث المتعدد الخيارات والثقافات وأصبح الآباء والأمهات تابعين بشكل سلبي لرغبات الأبناء لأن جيل التلفزيون والستالايت هو جيل خارج السيطرة.. بقي أن نقول إن الإعلام الفضائي أثر سلبياً على القراءة والإقبال على الكتابة كوسيلة أساسية للتثقيف والمعرفة بدل أن يحدث العكس.

وخلاصة الأمر فإننا نستطيع الإشارة إلى أن وسائل الإعلام العربية وفي مقدمتها القنوات الفضائية وأصحاب هذه القنوات ومن يقف وراء هذه الفضائيات والتي نجدها تحمل رسائل متعددة وليس رسالة واحدة كما يفترض وهذا دليل على عدم توفر رسالة إعلامية واحدة وحتى في قناة فضائية واحدة إنما لا يمكن أن تكون هناك رسالة إعلامية واحدة بشكل عام ومن المعروف أن القضية الأساسية للحكام العرب هي التخبط العربي كقضية شاملة من الحكام

وتشمل أغلبية فئات المجتمع العربي وما نسمعه من البرامج المفتوحة في الفضائيات العربية من آراء وتفكير لا يختلف عن ما هو سائد في الفضائيات وفي دوائر الحكام العرب وللتدليل على أن الأمة العربية وأزمة المجتمع المدني في الوطن العربي تعود إلى جوهر التركيب العربي سياسياً وثقافياً واجتماعياً وأن التوجهات القطرية واضحة في آراء الناس في كل قطر عربي.. مثلاً أننا نجد أن الاتصالات الفردية عبر القنوات الفضائية تحمل ملامح شبه متقاربة في كل قطر على حدة وتقارب في قطر آخر يتنافى مع أفكار قطر عربي آخر.. فهناك ملامح التشدد واضحة تأتي من قطر وملامح التسامح من قطر آخر.. وانفصال فكري وثقافي وتربوي وذهني ووجداني تجاه مجمل القضايا المعاصرة وهنا تلمس الأزمة الخطيرة التي سوف تواجه الأمة العربية حاضراً ومستقبلاً ليس على المستوى الإعلامي فحسب ولكن على كل المستويات حتى تصل هذه الأزمة إلى حقيقة الوجود العربي من عدمه أمام التحديات الجديدة والعاصفة في نفس الوقت.

وفي هذا المجال يجب أن نضع نمطاً من التخطيط المقترح لوسائل الإعلام العربي لكي تواجه الحملات الإعلامية التي تمتلك القدرات التكنولوجية والتقنية في مجال الاتصال الفضائي بالذات والإعلامي بشكل عام.

الإستراتيجية الاتصالية وكيف يمكن توجيه الحملات الدعائية المضادة

القيام بوضع استراتيجية اتصالية تهدف إلى مواجهة الحملات الدعائية المضادة للعرب والمسلمين تحت مبرر مواجهة الإرهاب كما تدعي أمريكا ومن خلال وضع هذه النقاط المركزية كمقدمة لما تضمنته الخطة الاستراتيجية التي وضعناها بعد هذا.

1. توضيح استراتيجية إعلامية ودعائية مفصلة من شانها إيجاد خطة بعيدة المدى.
2. يتم التركيز عل الأحداث القوية من خلال استخدام التحليل والتفسير والشرح لهذه الأحداث القوية والمهمة في مجال أهداف هذه الحملة.
3. عند القيام بتنفيذ الاستراتيجية الإعلامية توضع خطة تقوم على أساس كيفية تحقيق تلك الاستراتيجية ويتم تحليل هذه الخطة إلى مهمات.
4. يتم تنفيذ هذه الاستراتيجية على ضوء أهداف الاستراتيجية الإعلامية التي يتم وضعها على ضوء السياسية العامة للرسالة الإعلامية والدعائية المعاصرة للأمة العربية.
5. جعل كل وسيلة إعلامية تقوم بتنفيذ هذه المهام وفق خصوصية كل وسيلة من وسائل الإعلام والاتصال والتي يجب أن تستخدم وفق هذه الاستراتيجية وعلى ضوء قواعد محددة تعتمد الأهداف المرحلية والأهداف بعيدة المدى ويتم مراجعة تنفيذ الحملة وقياس مدى نجاحها من أجل إحداث تطوير الرسالة الاتصالية على ضوء الحملة السابقة ونتائجها.

6. على إدارة الحملة الاتصالية تقع مهمة تنفيذ الاستراتيجية الاتصالية في جميع الوسائل وهي تحمل الأهداف المحددة والخطة التي سبق أن وضعتها الإدارة الاتصالية على أن يترك تنفيذ هذه الحملة بحسب خصائص وقدرات وإمكانيات كل وسيلة مما لا يخل بمضمون الرسالة وجوهرها.
7. عند تنفيذ الخطة الاتصالية توضع في أولوياتها كيف يمكن تحقيق الأهداف؟ وكيف يمكن لأساليب وسائل الاتصال والإعلام أن تحدث التأثير المتضاعف من خلال فنون إنتاجها وإخراجها وتحريرها في وسائل الاتصال خاصة عندما توضع آليات دقيقة لتنفيذ هذه الاستراتيجية من خلال الآتي:

أ- الرسالة يجب أن تكون واضحة ودقيقة.

ب- الأهداف وتحديد أولوياتها وكيف يتم إنجاز الخطط وفق الأرقام المتسلسلة التي يتطلب كيف يمكن تنفيذ تلك الأرقام المتسلسلة من الرقم الأول حتى الأخير على أن تحدد الأرقام المتسلسلة وتعتمد على الواقعية المرتكزة على المنهج العلمي.

ج- كيف يمكن أن توصل وسائل الاتصال وماذا حدد لها أن توصل من مضامين محددة في الرسالة وما هي الأساليب الفنية لذلك؟

8. وضع التوجهات المناسبة وفق الخطط والأهداف الاستراتيجية الاتصالية.
9. معرفة كل خصائص ومميزات الوسائل الاتصالية المعنية بالتأثير والإقناع ومدى مميزات كل وسيلة في قدراتها الخاصة بالتأثير على فئة دون أخرى.
10. معرفة مميزات وسلبيات كل وسيلة على ضوء تحديد خصائص ومميزات المجتمعات المستهدفة بالرسالة الاتصالية.
11. كيفية استخدام الفنون وأساليب الإنتاج الاتصالي والإعلامي بفرض التأثير على كل أمة أو شعب أو فئة بعينها بحسب خصائصها ومميزاتها النفسية والاجتماعية.
12. ما هي الوسائل الاتصالية الأكثر تقنية وتكنولوجيا والقادرة على التأثير في المتلقى أكثر من غيرها.
13. الاستخدام الإبداعي للبحوث الاتصالية المتعلقة بمسح الرأي العام ومعرفة مستوى التعبير والذي على ضوئه يمكن تعديل الاستراتيجية والخطط في الحملة الدعائية.
14. إخضاع الوسائل والإمكانيات الاتصالية على ضوء حجم الجمهور المستهدف وخصائصه وسماته وفق الأهداف.

ومن جانب آخر فلا بد من معرفة الأساليب والإمكانيات التي يمكنها مواجهة الحملات المضادة مثل:

1. كيف يمكن أن تقوم الحملة الاتصالية والإعلامية بدحض اتجاهات الحملة المضادة للإسلام وتحويلها إلى مجرد دعاية فارغة المضمون.
2. كيف يمكن أن تقوم الحملة الاتصالية الإعلامية بترسيخ المفاهيم الصحيحة ودحض المسلمات التي رسختها الحملات المضادة للإسلام طوال القرون الماضية.

3. كيف يمكن للحملة الاتصالية الإعلامية أن تركز على أهم العناصر الدعائية المضادة وتفكك عناصرها من خلال استخدام العلوم الاتصالية والنفسية والاجتماعية وغيرها.
4. كيف يمكن للحملة الاتصالية والإعلامية وهي تقوم بتفكيك الحملات المضادة أن تستخدم أساليب التكرار وأساليب التضخيم دون الضرر بالمصداقية.
5. كيف يمكن استخدام أساليب الإنتاج والإخراج الإعلامي في كل وسيلة دون تكرارها على بقية الوسائل الاتصالية.
6. كيف يمكن وضع أساليب اتصالية وإعلامية في المجال الفني والتي تتفق مع طبيعة ومستوى كل فئة من المتلقين مع مراعاة الجوانب النفسية والاجتماعية والسن والجنسية والثقافة والتعليم والمكان الجغرافي سواء كانت مدينة- إقليماً- شعباً- أمة بحسب طبيعة التكوين والمستويات المختلفة لتلك الفئات المستهدفة.
7. أهمية تقديم وسائل الإعلام مع المصداقية لتقديم الأدلة والبراهين والشواهد المنطقية التي تتطابق مع نفسية وذهنية المتلقي من خلال الاستخدام للصور المعبرة واختيار العناوين المناسبة من حيث الشكل والحجم وتقديم الفنون التحريرية بأساليب عصرية تتمشى مع السرعة وثورة الاتصالات والتنوع ومعطيات الثورة العلمية والتكنولوجية وفق توفر القدرات والإمكانيات المطلوبة لتنفيذ هذه الخطة الاستراتيجية الإعلامية.

الإمكانيات المطلوبة لتحقيق الإستراتيجية الإعلامية:

ومن أجل التصدي بصورة علمية وعليه فلابد من إيجاد آليات عربية للتصدي لتلك الحملات المركزة والمتكررة بمختلف الوسائل والقنوات وهذا يتطلب في الأساس الآتي:

1. إيجاد إرادة عربية قوية تنطلق من الإصرار والإيمان بحتمية المواجهة الاتصالية باعتبار ذلك هو السلاح الوحيد لهذا العصر الذي اختزل العالم كله إلى قرية كونية صغيرة.
2. توفير القدرات المادية والبشرية والتقنية بحجم المسئولية التي تقع على هذه المؤسسات والتي تهدف إلى تصحيح المسار وجعل هذه الأمة قادرة على استخدام أدوات العصر لإحباط كل تلك القدرات العلمية الأمريكية والغربية التي تسعى إلى طمس الهوية العربية الإسلامية.
3. تقييم وتحليل واستيعاب مضامين الحملة الغربية وبالذات الأمريكية الموجهة ضد العرب باعتبارهم القوى المتخلفة في العالم... والعمل الجاد على إيجاد استراتيجية عملية لمواجهة تلك المحملات من منطلق القدرة والاقتدار.
4. العمل الجاد المنطلق بحتمية المتغيرات الدولية وبحتمية توفر تقنيات وتكنولوجيا العولمة التي هي مصدرها الأساسي التقدم المتسارع لتكنولوجيا الاتصالات... باعتبار المعرفة والإيمان بهذه الحتمية كفيلاً بأن يجعل هذه الأمة العربية الإسلامية بأجهزتها المسئولة أن

تعمل على مواجهة المخططات الأمريكية الهادفة لمحو الهوية بواسطة السيطرة على مفاصل العولمة بكل مؤسساتها وتقنياتها السياسية والثقافية والفكرية والتجارية والاقتصادية وغيرها.

5. القدرة على استيعاب الجوانب الإيجابية والمشرقة والعظيمة من تراث الأمة العربية والإسلامية هذه الأمة التي كانت في الفترات الأولى سيدة العالم والمنطلق للحضارات العربية الإسلامية من أجل الانطلاق من الواقع ومن المنبع الأصيل الذي يجعلنا ننطلق لمواجهة هذه الحملة الأمريكية من منطلق الثقة الأكيدة بمقوماتنا المادية والروحية.

6. إيجاد قنوات فضائية وصحفية على المستوى العربي بمنهج ورؤية واحدة أولاً وبالضرورة توفير قنوات مماثلة موجهة باللغة الإنجليزية إلى الغرب لتوضيح توجهنا الحضاري والإنساني ونبذ الصور المظلمة عن الإسلام والعروبة والمسلمين التي أوجدتها المؤسسات الاتصالية الأمريكية والغربية.

ومن أجل القيام بالدور المطلوب فلا بد من القيام بالأدوار التالية:

أ. إبراز الدور الحضاري للأمة العربية.

ب. تحسين الصورة العربية في ذهن المواطن الأجنبي في مختلف الساحات.

ج. التركيز على أن الأمة العربية والإسلامية داعية للسلام والعدل ومحاربة الإرهاب.

د. توضيح القضايا العربية وعلى رأسها قضية الحضارة العربية والإسلامية العريقة المعادية للعنف.

ه. مواجهة الدعاية المضادة القديمة والجديدة وفي مقدمتها وصف العرب والمسلمين بالإرهابيين ودحضها وتفنيد مزاعمها.

و. إبراز الدور الإيجابي للحضارات العربية والإسلامية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقضايا المتعلقة بحقوق الإنسان.

ز. فضح الاتجاهات الأمريكية الساعية للهيمنة على مقدرات الأمة العربية والإسلامية.

7. الاهتمام الواسع بالحوار مع الغرب على أساس الاحترام المتبادل وعلى قدم المساواة باعتبار الحوار المطلوب هو الاعتراف بالآخرين وليس الحوار بالمعنى الذي تريده الدوائر الأمريكية.

8. التركيز على المنظمات والمؤسسات التي أوجدتها مؤسسات المجتمع المدني العربية والإسلامية وجعل هذه المؤسسات بمثابة مؤسسات إعلامية واتصالية تقوم بالدور نفسه من أجل تحقيق الأهداف المطلوبة.

9. الاعتماد على البحوث والدراسات المسيحية التي تقيس الرأي العام والتي تبنى على نتائجه الحملات الإعلامية.

10. توفير مراكز للمعلومات التي تعتمد في الأساس على مقومات وهوية الأمة وكل معطيات العصر والتراث الإنساني كقاعدة للانطلاق من أجل التعامل مع العالم.

11. توفير الكوادر العلمية المؤهلة والقادرة

على التعاطي مع ثورة الاتصال والثورة العلمية والتقنية للمعلومات والاتصالات... وتأسيس قاعدة للتأهيل وإعادة التأهيل من أجل إيجاد القدرات للمتابعة والتعاطي مع الصناعة المتسارعة للبرامج الاتصالية في مجال الكمبيوتر والإنترنت.

12. إيجاد مؤسسات تختص في مجال الإنتاج البرامجي للإذاعة والتلفزيون إضافة إلى صناعة الأفلام وذلك لمواجهة التكنولوجيا العالمية والمتقدمة للصناعة الأمريكية للسينما.

وعلى هذه المؤسسات العربية والإسلامية التي نريد منها أن تقود الحملات الإعلامية المضادة من خلال الآتي:

1. القضاء على كل المفاهيم الخاطئة حول معنى الإرهاب من خلال إبراز المقومات العربية الإسلامية السمحاء والإنسانية.
2. إزالة روح التواكل والتبعية الثقافية والإعلامية للغرب وأمريكا ومؤسساته التي تقف خلف مفهوم العولمة كما تريدها أمريكا.
3. إبراز ما يتوفر في الأمة من الحريات العامة والديمقراطية وحقوق الإنسان كمقومات مادية وروحية تجسد السلوك كمنطلق حقيقي وكشاهد على عظمة وإنسانية الأمة العربية.
4. إبراز الدور العربي والإسلامي في مجال القدرات والإمكانيات التقنية والتكنولوجية للاتصال وصناعتها واستلهام أبعادها على المستوى العربي والإسلامي وخاصة فيما يتعلق بالجوانب العلمية والتكنولوجية ومنها:

- الإلكترونات الدقيقة وصناعة الآلات الحاسبة والإنترنت وعلومه المختلفة والمتصلة بالتوثيق وثورة المعلومات.
- التكنولوجيا الحيوية والهندسية والوراثية.
- مصادر العلوم والطاقة المتجددة.
- الألياف البصرية.
- ثورة المعلومات وأبعادها المتعلقة بالحريات وحق الجميع في الحصول على المعلومات.
- تكنولوجيا الفضاء والبث الفضائي وآفاقه المستقبلية وتوليد المعرفة والابتكار.

5. جعل المعلومات ومصادرها لخدمة الإنسان مهما كانت جنسيته أولونه.
6. احترام حقوق الإنسان والطفل والمرأة.
7. اعتبار التنمية المستدامة المنطلق للمشاركة الجماعية ولكل الناس بمختلف ألوانهم وجنسيتهم وحق المشاركة في اتخاذ القرارات.

وبعد عرض الاستراتيجية الإعلامية والإمكانيات المطلوبة للتنفيذ، فمن المهم أن نضع المطالب القومية لتحقيق التضامن والوحدة الاقتصادية والتجارية وسوق عربي مشترك لكي تتوفر القاعدة المادية والاقتصادية والتجارية التي سوف تعكسها وسائل الإعلام العربي إيجابياً تجاه التحدي الإعلامي الغربي ووضع المطالب الضرورية لتحقيق الأرضية المطلوبة لوحدة الموقف

العربي في شتى المجالات ومن ضمنها ما بذل تجاه قيام السوق العربية المشتركة واتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية وقد تضمنت هذه الاتفاقية التي يجب تنفيذها من أجل مواكبة منظمة التجارة العالمية الآتي:

أ. تنظيم العلاقات الاقتصادية وتوطيد هذه العلاقات على أن تتلاءم والصلات الطبيعية والتاريخية القائمة بين الشعوب العربية.

ب. حرية انتقال الأشخاص ورؤوس الأموال.

ج. حرية تبادل البضائع والمنتجات الوطنية والأجنبية.

د. حرية الإقامة والعمل والاستخدام وممارسة النشاط الاقتصادي.

هـ. حرية النقل والترانزيت واستعمال وسائل النقل والمرافئ والمطارات المدنية والعمل على تفعيل السوق العربية المشتركة بالأتي:

أ. حرية تبادل المنتجات الزراعية والحيوانية والثروات الطبيعية.

ب. حرية تبادل المنتجات الصناعية.وفي المجال الصناعي حدد الأتي:

- صناعة الغزل والنسيج.
- صناعة الحديد والصلب والفولاذ.
- صناعة الورق والحرير الصناعي.
- صناعة المكائن والجرارات والآلات الزراعية.
- صناعة الأسمدة الفوسفاتية.

وإضافة إلى هذا تواصلت الجهود في شتى المجالات وكانت هذه الجهود من الناحية العملية صحيحة لكونها انطلقت من الأسس السليمة التي يجب أن يتم التواصل على نفس النمط والاتجاه والتركيز على التعاون المشترك في المجال الاقتصادي والفني مستهدفاً بذلك دفع عجلة التنمية في كل الأقطار العربية وجعلها قوة فعالة على طريق التقدم والرقي للأمة العربية وتقرير مصيرها والردع لكل مخططات القوى الاستغلالية المتربصة بهذه الأمة، وفي هذا الاتجاه لابد من الاستفادة من كل المشاريع العربية المقرة والمقدمة إلى الجامعة العربية ومؤسساتها.

ومن جانب آخر فلابد من الاستفادة من كل السلبيات الماضية وهي كثيرة لكي نستطيع بناء أسس صحيحة لوحدة أمتنا وقدراتها وإمكانياتها.

إن أهم السلبيات التي تعرضت لها الوحدة والاتحاد والتنسيق العربي على كثير من المستويات من بينها:

- النظرة الجزئية إلى كل أعداء الأمة العربية وإلى كل الأحداث التي تعرضت لها الأمة العربية طوال المراحل الماضية.
- المواقف المتضاربة والمتخاذلة تجاه القضايا العربية المصيرية.
- عدم تحديد الأخطار التي تواجه الأمة العربية من قبل أعدائها.
- عدم إعطاء الجماهير العربية الدور الذي يجب أن تتحمله في سبيل الدفاع عن مصالح الأمة.
- عدم الاهتمام في كل الجوانب الملحة

على المستوى القطري والقومي والمتعلقة بالدفاع والأمن الوطني والقومي.

- عدم الاهتمام الفعلي بالجوانب العلمية والتقنية وفي كل المجالات.
- عدم الاهتمام بالكوادر العلمية والفنية وجعلها تهاجر إلى الخارج.
- انتشار البيروقراطية وعدم السماح بحرية البحث العلمي.
- عدم ممارسة الديمقراطية على كل المستويات وفي المقدمة حرية الرأي والرأي الآخر.

وبعد هذه المواقف والتجارب نجد اليوم بأن آمال الأمة العربية في سبيل تحقيق أي تعاون عربي مهما كان أصبح ضرورة تتطلب الحشد الهائل لكل الطاقات العربية المادية والذاتية للحد من التدخل والتدابير والمؤامرات التي تحاك ضد الأمة من قبل (إسرائيل) وأمريكا وبقية الدول الاحتكارية.

إن أهم الخطوات التي يجب أن تسير عليها الأمة اليوم هي:

- إزالة كل عوامل الفرقة والانقسام في صفوف الأمة العربية.
- العمل على الحد الأدنى من الاتفاق بين كل الأطراف العربية.
- تنفيذ كل المشاريع الاقتصادية والتجارية القديمة على اعتبار أنها كانت قد لامست كل الجروح ومكامن الخلل.
- بناء القاعدة المادية والفنية والعلمية في كل مجالات حياتنا العربية.
- تطوير كل الجوانب العلمية في حياة الأقطار العربية كمنطلق لإيجاد مجتمع عربي موحد وقوي.
- تطوير المناهج التعليمية بما يتلاءم وتطور العلم والتكنولوجيا.
- خلق المجالات الحيوية للتعاون العلمي والتقني في شتى المجالات بين الأقطار العربية من جهة وبين الأمة العربية والعالم على قدم المساواة.
- توحيد القوانين والأنظمة وإعادة رسمها بما يتفق والنهج العصري ومعطيات العصر خاصة مع منظمة التجارة العالمية.
- أيجاد الأسس والقواعد المستقلة والمتطورة لوسائل الاتصال والثقافة والإعلام.
- إعادة النظر في منهجية الأساليب الزراعية القديمة وقيام زراعة على القاعدة العلمية والآلية.
- إيجاد صناعة تقنية عصرية تقوم على أساس إمكانيات كل قطر من حيث المواد الخام والقوى العاملة والإمكانيات الفنية والخبرات.
- العمل على خلق أسس جديدة وعلاقات جديدة بين الأطراف العربية نحترم فيها الآخرين كما نحترم فيها الذات ونقدر فيها الرأي الأخر كما نقدر الرأي الذي نقوله.

وباختصار نقول نحاول الاعتراف

بالآخرين وبحقوقهم وعدم المصادرة لأي شيء سواء كان مادياً أو ذاتياً للآخرين والحرص عليه كما نحرص على الذات بكل ما يعني ذلك وبنفس القوة والحماس وعندها سوف يكون العمل العربي الموحد ممكناً وذلك لأن عملية الإلغاء للآخرين قد اختفت والتي تشكل إحدى العقبات الرئيسية في طريق توحيد الأمة.

المراجع :

1. العلاقات العامة وفنونها، د. محمد عبد الجبار.
2. موضوعات إعلامية، د. محمد عبد الجبار.
3. تحليل مضمون، د. محمد عبد الجبار.
4. الإعلام العلمي والجمهور، المنظمة العربية للعلوم، تونس، 1994م.
5. الإعلام في صدر الإسلام، د. عبد اللطيف حمزة، دار الفكر - القاهرة.
6. فضاء الإعلام، سلسلة الدارسات الإعلامية، الجزائر 1994م.
7. ثورة المعلومات وأبعادها الاتصالية والتربوية، دراسة د/ محمد عبد الجبار.
8. الترهيب بصدام الحضارات بالعولمة، صبحي محمد غندور، 1999م.
9. بين عصرين إعلاميين، د. محمد رضا، مجلة الشاهد، شباط 1999م.
10. العرب وعصر المعلومات، قراءة أولية، د. نبيل علي، مجلة العربي، ديسمبر 1994م.